

زيد الشهيد

أشجان الغرباء

شعر



أشجان الغرباء

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الكتاب: أشجان الغرباء

المؤلف: زيد الشهيد

ISBN: ٧- ٥٧- ٥٤٤- ٩٩٣٣- ٩٧٨

تصميم الغلاف والإخراج الفني: دار أمل الجديدة

الطبعة الأولى: ٢٠١٦

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق - ٥٦٠ لسنة ٢٠١٦



سورية - دمشق

جوال ٠٠٩٦٣٩٣٢٤٧٢٠٩٦ - ٠٠٩٦٣٩٣٢٠٠٢١٢٦ -

هاتف: ٠٠٩٦٣١١٢٧٢٤٢٩٢

E-mail: ammarkordia@yahoo.com

زيد الشهيد

أشجان الغرباء

للشعر

مضرجين بالهناء
نقطفُ الشمسَ ماءً
ونعجنُ القمرَ
حكايةً لك،
أيتها المدينةُ الخارجةُ
من كفِّ الخيبة..

اخبئي. أخشى عليك

اخبئي! أخشى عليك!

فهذا وطنٌ أخطأ المدونون في نحتِ حرفه الأخير،
استبدلوا الكافَ بقاف.

وطنٌ لا يعرف غيرَ اللوعة والنواح.

اشترينا له الشتائمَ كي يخلّفها إرثاً للأحفاد.

وزرعنا على أرضٍ ذاكرته ضغائننا كي يتهالك ليلَ
نهار.

وطنٌ تركناه حافياً يصارعُ لظى الرمالِ وقلنا له:
خُذِ حَقَّكَ مِنَ الْعَذَابِ.

ساديون نحنُ أبناؤك، يا وطني.

مازوشيون، نعشقُ الألامَ المراقبةَ على أهدابنا، ونحتفي.
نأكلُ الأنينَ الدافقَ من قلوبِ أمهاتنا فننتشي.

وطنٌ جعلناه لا يغفو إلا على ناي الدهورِ الحزين
ومدنٌ لا ترقصُ إلا على أرجوزةِ الدمِ والتواييت.
ولا تنامُ إلا على:

"دللول يا الولد ، يبني دللول
عراقك حزين ودوم معلول."

٢٠٠٩ / ١ / ١٠

يا لبراريك الغمامات

بينَ طُرقاتِكِ الموبوءةِ بالبؤسِ
ورفضِ حضورِكِ السادرِ في التكرارِ
وجدتني أتعثرُ بلغةٍ تبتغينها باباً للجمرِ.
تقذفيني بغيومِ الكوايسِ والهمومِ.
ترمينَ عليَّ شَهَقاتِ الهوياتِ التي ما شبعت
من الياسمينِ،
ونشيجَ الذينَ أغمضوا العيونَ على رماذٍ ملأتِ به
كفوفكِ وأغدقتِه على أفواهٍ كانت تصوغُ أنغاماً
للرياحينِ.

لماذا نُؤثِّتُكِ أيتها الحربُ بينما أنتِ:

رجلٌ شريرٌ..

سفاحٌ ماهرٌ..

همجي رعديد؟..

.....

.....

تسحبيني من سهوب النسيان
لبراريك العائمة في غمامات الأسي.
من الذي دوّنك لوحة تُترجمُ عهر الموتورين
وهجاك في يناعة رفلِك الدموي؟
هو بيكاسو الذي يومَ سألوه:
"أمن فعلِك هذا؟"(*)

"بل من فعلِكم أنتم!" قال.

.....

.....

عنك، كنتُ أخبئُ الفراتَ في ذاكرتي
وأجعلُ الضفافَ تبتلعُها الأشجار.
أشطبُ الجسورَ من خارطة "الزيلات" (***)،
تاركاً الأمانى تتعثّر على خيبة الجنود.

أعدو لاهتاً بحثاً في هرج الأمنيات العتيقة
عن كركرةٍ مختبئةٍ بحجمِ رفرقةِ رمشٍ
أغلفها بمنديلِ ابتسامَةٍ،
لأهديها إلى طفلٍ نسيَ العيدَ
واكتفى مُجبراً بحفظِ أناشيدِ المعاركِ.

.....

.....

لكأنك غمامةٌ حلت.
وليلَ جثومٍ تجيئين.

.....

.....

حينَ وزَّعتِ الأحزانَ

على أراملَ الشهداءِ،
وأُمَّهاتِ القتلى،
وأولادِ المتبعثرينَ أشلاءً
كان العراقُ يرابطُ عند سواترِ الضياعِ
مُتخناً بعبثِ المجانينِ.
كانَ العراقُ يأكلُ الترابَ،
ويصنعُ من الدخانِ مجداً للأكاذيبِ.
كانت بغدادُ امرأةً لائبةً
(مثل أم ولدِ غرکان).
تغرقُ في يَمِّ البحثِ عن أبناءِ
خطتُهُمُ أيديَ الفقرِ على أقمشةِ سوداءِ
ناموا فوقَ الحيطانِ، مجففينَ
بلا أحلامِ.

.....

.....

على قيد اللظى تركتينا
وأجزت لضياعنا الترجل على
سجادة الرثاء.

احتسيت أصواتنا
ومشيت رافلةً على ناي آهاتنا
فاتحةً سماءً للنواح.

.....

.....

كانت الطالباتُ في نادي الكليةِ
ينتحنينَ على بعولٍ مُفترضةٍ
وأجنَّةٍ مُرتجاةٍ ؛ جففتها الدموع.
كانت المزارعُ ترتدي معطفَ اليباب.
والمزارعونَ يخلعون الهويات
ويمشون:

(احنه مشينة للحرب)

مشيةُ المشيةِ المساقيةِ

للذبحِ والتقطيعِ.

كانت المعاملُ يتناقصُ نحلها المنتجُ

وتكثرُ الدماءُ.

و(ماركس) يلوذُ بعباءةِ الديالكتيك

هارباً من ندائه للعمالِ بالاتحاد

وقيادةِ دفّةِ السلامِ.

لا يدري أنّ الحروبَ آكلةُ نهودِ النظرياتِ

وهاتكةُ باكراتِ الجذلِ.

لا يدري أنّ للحروبِ توائمَ يتناسلونَ عن

"نيرون"

و"شمشون"

وأبالسةٍ، أتقياءَ في الجريمةِ وقطفِ

لوعاتِ الفواختِ.

لا يدري أننا في العراقِ أغلقنا أسواقَ التطلعِ

ونثرنا بذورَ اليأسِ،

وانتظرنا شمسَ الدبابات.
أكانَ حُلماً ذلكَ الذي جرى
أم خطأً دفعت به أحكامُ السماء؟

.....

.....

اليومَ، لكأنها عرياتُ الأنسام
تحملُ ورودَ الابتهاج
وسكَّةُ البهاءِ نمتطيتها، حيثُ
محطَّاتُ الحداثقِ، وخارطةُ المنتزهات.
اكروباتيكِ الدواليبِ، وسكرُ الأراجيح.
فيا أيها المحتسونِ عسلَ الشمسِ
يا حوارِيَّ الأرضِ، وأنصارَ الضوء.
يا فضةً تَبْرُقُ.. وبرقاً يناهضُ الظلام.
لقد زرعنا النهارَ كتاباً،

وأَتينا على طائِرة الغناء.
تركنا السيفَ، والرمحَ للخيام.
وركبنا أصابعَ العقلِ.
في الجيبِ قلمٌ..
وعلى الكفِّ وطنٌ..
وفي الرأسِ.. بُستان.

السماوة ٢٠٠٨/١٠/١٠

-
- (❖) وكانوا يقفون عند لوحة "الجورنيكا". هم يقصدون اللوحة،
وهو يقصد فحوى اللوحة.
(❖❖) العجلات التي كانت تنقل الجنود إلى سوح المحارق الحربية

أُسْمِيكَ كَلْبًا فَلَا تُهْنِي

(١)

يا حُلْمِي المَطْعُونُ!

يا وَطْنِي!!!

تَمْشِي أَمَامِي مَكْلُومًا،

وَمَجْرُوحًا، وَمَسْحُوقًا:

أَيَا شَجْنِي!!

يا حَقْلِي المَوْبُوءَ بِالْأَحْقَادِ

يا فَنْتِي!

دَعْنِي أَنَا جِيكَ بِالْبِصْقَاتِ وَالرِّكَلَاتِ

وَشَتَائِمِ الْوَلْدِ الْعُقُوقِ

فَلَا تُهْنِي!

(٢)

أيها الوطن الكلبُ
زرعتك حُفراً على قلبي البستان،
رسمتُك خالاً تزدهي فيه الخدود.
وقلتُ هذا وطنٌ لا يكتفي بالسماءِ احتضاناً،
ولا يريدُ الأرضَ سريراً لأحلامٍ ما أريدُ ؛ بل يُريدُ.....
هذا وطنٌ رأيتُ أبي يبكي عند قدمي شموخه فعبدته
وأبصرتُ أمي تُحنيني من طينه " الحرّي " فقلتُ هو الله ؛
واكتشفتُ حبيبتي حينَ تتوجهُ إليه تنساني، فتلاشيتُ
أمامه.

ولوَّحَ المعلِّمُ - وكان عربياً - بعصاه القومية، صارخاً:
وطنك ليسَ العراق.. فقل: بلادُ العربِ أوطاني / منَ
الشامِ لبغداني
عندما رددتُ خلفه الكلامَ الجميل
بلحنِ جميل
أسودتُ الدنيا من عصاه

وصرخ الرأس الصغير: آآآآآآآآ آ يا مُعلميَ القميء
" تَأْكَلُ بِرَاحِيِ الْعِيسَلِ / وَبِرَاحِيِ تَشْتَلُ نَاب؟!! " ..
ويومَ غَادَرَ الْعِرَاقَ تَرَكَضَتْ خَلْفَهُ الْحَقَائِبُ
وتَرَكَمَتْ فِي جَيْبِهِ الصِّكُوكِ
بَيْنَمَا أَنْتَ أَضْلَعِي الْمَسْرُوقَةَ، وَصَاحَ رَاسِي الْجَرِيحِ:
يا وَطَنًا مَغْفَلًا!
يا أَبْلَهًا مَنهوبًا!!!

(٣)

أَيُّهَا الْوَطَنُ الْكَلْبُ!!
يا تَابُوتًا مِنْ فِرَاقِ
مَنْ أَوْدَعَ فِيكَ رِيَّاحَ الْمَسْكِنَةِ
وَأَلْقَمَكَ حَجَرَ الدُّلِّ
وَرَمَاكَ جَسَدًا تُعْفِرُهُ الثَّقُوبُ،
وَتُدْمِيهِ أَعْقَابُ الشَّمَاتَةِ؟
أَنْتَ الْكَنْتَ الْمُمْتَلِيءَ ضَحِكًا، يَسْرِقُونَ مِنْهُ نَسْمَةً

لوجوههم المنحوتة من فحم!

الكنتَ الراقصَ نهرًا يروي يبابَ الخانعين، وأنتَ هادرٌ
بيفاعتِكَ!

الكنتَ الراقلَ كبيراً تُقرِّمَ الذين حولك.. يتقزِّمونَ فلا
يتطاولون.

أنتَ الكنتَ النائِمَ رغداً فلا أحدَ يدنو من عَربِكَ
الحَصين.. ونحنُ أقمارٌ باهرةٌ نخطو
أيها الكنتَ تستحمُ بجسدِ امرأةٍ كونيةٍ تُسميكَ عراقاً
من عَقيق، وتُسميكَ الله.

كيفَ أجزتَ لرُعاءِ، وشذاذُ آفاقٍ، وموبوعين، وعِراءِ،
وتائِهين،

وموتورين، ومنبوذين

أَنْ يتسلقوا سورَكَ الحصين؟!؟

أَنْ يُطلقوا عليكَ رشقاتِ بغضِهِم

وينحرونَ عنقَ رغباتِكَ

بسواطيرِ الغيِّ، والجهلِ،

و"الخيارِ الذي لا يجب وضعُهُ جنبَ الطماعة"!!؟! (*)

(٤)

أيها الوطنُ الكلبُ!!

يا جِنَّةً من تُراب

كيف تركتهم:

جرذاناً، وجراييعَ،

ومستنقعاتِ قملٍ

يأكلونَ بنيكَ أشلاءً صارخةً،

وبيوتاً ممزّقةً،

وشوارعَ تبكي؟!؟

كيفَ تركتَ مُستقبلَ الشمسِ لـ(أجا)؟

وفتحتَ أسوارَ جلجامشِ للأزبالِ المتحركة

من بلدانٍ كانتَ تلتئمُ نَعليكِ؟!؟

كيفَ تركتَ بنايِكَ قَطيعاً من مومساتِ،

وأحفادِكَ نهباً للثراءِ، والدموعِ؟

كيفَ صرتَ حيواناً تُدميه الركلاتُ

و"الدفراتُ"، وشزرُ النظراتِ "الجيرانية"؟

كيف استحلتَ تنتظر بعينِ العليلِ، الذليلِ، المنكفئِ
فُتاتِ المساعداتِ الدولية؟
وتعفّرُ جلدكَ مخالِبُ مَنْ كُنتَ تُسميهم أشقاءً،
وأصدقاءً، وأخواناً في الدين؟
يا مسكين!
صولةُ الجهادِ ترسمُ عرسَ الدمِ على صدركِ المنهوكِ
وبهجةُ السكاكينِ تتراقصُ على حمى استغاثاتك،
وصرختكِ الكسيرة.
وتبقى العزيزَ الأشمَّ،
يا وطني.

(٥)

أيها الوطنُ الكلبُ
لا تلمني.. لا تشتكي مني
لا تُرَبِّي المُفخخاتِ في قلبي، وتقولَ ساعدني.
حينَ أرمي بكَ إلى مهاوي الأزدراء، وأغدقُ عليكَ
بالشتائم

فلأني أحبكُ يا وطني؛ وأحبُّ ذكرياتي السائرةَ حَفراً
على ساعديكَ كما وشمٍ حجري
يحكي تعلقكُ بي، ورضاءكُ عني،
مثلما دلالي عليكَ، وشوقي إليكُ!
يومَ أرفعُكَ لافتةً خضراءَ، بصاريةِ العاشقين
وأقول: يا وطني، لا تُهنِ!
ستقرُّ جردانُ البائسينَ الراكعين
عندَ قدمي جارحيكَ وطاعنيكَ
وساكبي دمعَ عينيكَ أسفاً على أولادك
الراتعينَ بحليبِ الغُرباءِ

ساعتها اضحك بملء قلبك الحزين

واركض بعظم ساعديك!

فالمدى بحرٌ بمقلتيك،

والفضاء هويُّك المرتجاة.

وأنت..

أنتَ كلبُ الأوفياء.

(٦)

انهض أيها الوطنُ الكلبُ
رجَّ الأرضَ

واقبضْ على خجلِ السماءِ
بقبضةِ جلجلتِكَ الأصيلِة.

ادفعْ ببنيكَ الأوغادَ خارجَ تابوتِكَ
ليترجموا معنى الإعصارِ
فأخوةُ يوسفَ

يتأسونَ كذباً أمامَ حنقِكَ الجبلي المتراغي

ويتوجعونَ خشيةً من "سونامي" غضبكِ

عاصفةٌ كفُّكَ إنْ ارتفعتْ سداً بوجهِ رُعيهم.

جامحةٌ روحكُ إنْ بصقتْ بوجوهِ ذلهمِ وازدردتْهم قبيئاً.

رجَّ الأرضَ ؛ يا وطني.. فالذئابُ لا يرُعبها

إلا أنْ تكونَ كلباً.

إلا أنْ تراكُ جامعَ الشرِّ في عيني "غيرتِكَ" الناريةِ

فلا ترتضي دهاءهم السرابي،

أو مواساتهم الرملية ،
أو دموعهم المائية الفاقدة ملح الصدق .
يا وطناً! كلباً كُنْ لا يحمي إلا أهله
لا يقبلُ إلا أهله .

اعتلي تلة الجغرافية الأبية وأطلق نباحك الحيني
دعوةً لبنيك أن يعودوا من تضاريس الشتات ؛
وافتح قائمتك الأنيتتين احتضاناً لمقدمهم البهي
عندها تصبحُ كلباً وطناً
ويصبحُ أولادك جراً لا يُصلُّون إلا في محراب
أبيهم الكلب الشجاع
ولا يرفلون إلا على خميلة أمهم الكلبة
الحنونة ،
الأيبة ،
المعطاء .

(٧)

يا حزيناً يحفرُ القلبَ بذكرهُ الجليلة

ويناديني بحسراتٍ

ولوعاتٍ،

وأثاتٍ نبيلة.

يا طهوراً:

لا تلمني إن أنا ضقتُ بأهاتي الطويلة

فلقد أبصرتُ جزاركَ ضبعاً

ولقد ترجمتُ من يُبكيكَ ذنباً

يا رشيقياً.. يا بهياً..

يا عراق.

١٠ تموز ٢٠٠٧

طائرٌ من بلادِ.. عليل

سألتني عن العراقِ فقالت:

أصحيحٌ كما وصفتَ جميلُ

قلتُ: يا أختاه لا تشيري شجوني

فحديثي عن العراقِ طويلُ

عصفورٌ مدججٌ بالزغاريد كنتُ،

والفرحُ عنوانُ مهنتي مضيت.

طائرٌ مكبلٌ بالجراحِ يا أختوتي صرتُ،

وعليلٌ بلا وطنٍ أمسيت!

طريدٌ يستقي البسمةَ بلسماً

والصحةَ ضماد.

شاعرٌ يعتلي المركبَ القرصان

ويحصد الجراد.
هكذا قالت الندوب للأساطير،
وباغتني النباح،
وحاربني الحصار.
وعصرتني الخنادق،
وكمّمني البارود،
واستعمرني الشحوب،
وهجرني الربيع،
وعشقتني الغربية،
وتلبسني الاغتراب،
وابتلعتني المحطات،
وسرقتني القطارات،
وبكيتُ طويلاً،
وكتبتُ كثيراً،
وانتظرت الرسائل،
وحفظتُ البكائيات،

وتشاجرتُ مع القمر،
وبصقت على الشمس،
وصاحبتُ القروُد،
وخشيتُ الذئاب،
وشتمتُ الثعالب
ولعقت أصابعي الدبيةُ
وأكلت عسلي المومسات.
وجدرتُ ظهري الأسرَّة،
وخطفت طبولي السهرات،
ونتفت ريشي الشيخوخة،
واستلبت شفاهي التقشّرات
وما من كفٍّ تمتد لمصافحة جذوتي
الراقدة على فراش الجليد.
الضحكات تُتفرُّ من نافذتي.
ومن يحاورني بالجداولِ، والغصون،
والفننِ يحصدُ الأسى.

كانت ذاكرتي مملأى بالعصافير
وأبجديتي سكرى بالأفكار
وأنا عراقيُّ كم تقمُّ السرورَ يزورني
ليأكلني الهناءُ، وأتية خدرًا..
وأفيقُ أسفًا.
كم أردتها
تهفو لمملكتي جيوشُ العيون الهاربة
من ليلِ الدياجيرِ، والنومِ الطويلِ.
كم تمنيتها
تصاحبني بناتُ الخلقِ القويمِ، ترفلُ على خمائل
عشقها، وتعدو في مساراتِ قلبي الرياضِ.
كنتُ سأحزمُ القمرَ ضوءاً وأعبئه لليالٍ حالكات
وسفرٍ بعيدٍ، بعيدِ.
أحتسي خمراً صبري لعادياتِ تلوح في المدى
وأقول: عراقيُّ أصيلِ.

ما زلنا نرمم احزاننا بالأمانى
ونعتق الشوق الذي فرَّ بالحنين،
ما زلنا ننده على وعولِ الذكرى بأن لا تبرحنا
لئلا ينسكب دمع القلب على الهباء
ويرتقي الضياع هامة الطموح.
ما زالت ليالينا معبأةً بالحكايات
ووسائدنا تشكو افتقاد رؤوسنا
وعيوننا تطرد النعاس بينما الجدات
لا يردننا أن نهجعَ، فالهجوم يعني انطفاء بصيص
عيونهنَّ الذي شحَّ فما عادَ غيرُنَا منهلاً لاغتراف
ذكرياتهنَّ الناضحة..
آه يا عدوُّنا الذي لا ينتهي في دروب ذاكرة الجدات
ولمفتتا التي تتناسل مثل صباحٍ يفقد شعر الشمس،
وأقدام العمال الحاملين بالأمس بعملٍ غداً يلتهمون
ساعاته
على طبقٍ من هناءٍ، ودنانيرٍ يتعاون بها خبزاً للصغار..

بيت النص

مليءً بالبلّور

لكنّ مزدحم بالشعراء

هذا البيت الذي أسكنه،

أو اكتبه.

يأخذني من حديقة الحبرِ

إلى لهاث الورقة.

يُجبر القلبَ على الرفرفة

والقلمَ على البكاء.

يقتني الغزاةَ لهاثاً.

وأنا أقول:

بيداءً بلا فيوض تاريخنا، يا غزاة!

مضماراً بلا خيول!

فلماذا التَّشَبُّثُ بالكبرياء

والقلوبُ صحراء؟

مليء بالورود

لكن مفعم بالشجن

هذا القلب الذي يسكنني

وأنا لا أستطيع هجرَكَ يا غزالة .

وليس لي قدرة على النسيان.

جمعتُ لكِ سوسنةَ الكلمات عند شرفة لهفتي

حشدتُ لكِ أولادَ الكلمات هتافاً

وبناتِ البلاغةِ لافتات

قصدتُكِ كما يفعل البوذيون زحفاً على الدموع

وغنيُّكِ عِطراً يرفلُ على هادياتِ الحدود
على الأناملِ الغارقةِ في بهارِ الارتعاش
على العابرينِ أنينِ الحروبِ.
ارتديتُكِ شعراً وتزوجتُكِ قافيةً.
أدري أنَّ حرامي البيتِ يخدم الأبعدين
وأنَّ اللّحى ميمنةُ الأعداءِ.
أدريكِ تعشقين فيوضَ الشموعِ
وترتشفين ندى النوافذِ
أدريكِ ترعبُكِ ساديةُ الوحوشِ
ويجفُّكِ الحالمونَ بجنةِ العويلِ
أدري أن وجهكِ ماءٌ ولونكِ حَقْل.
أيها المهمومُ بعشبةِ التيهِ
النابضُ صدغُكِ بمستحيلِ العبثِ.
يا متفرساً في أسنانِ الطاعونِ،
ومتقللاً على أرجوزةِ المساميرِ.
مطراً

أبعدتْها عن سعالِ الخراب
وسرقتَ الحرائقَ من جيوبها.
غناءً

جلبتَ لها الأشجارَ
وملأتَ لها السماءَ بالمطر
شقائقَ

أردتَ لها القصائدَ
تضرِّجُ يبابَ الكسالى
وتملأُ حقائبَ العصافير.

يا شوقاً كالمستحيل،
يا جبهةً كالسماءِ العكِّرة.
غزالتُك، هي.. هي:
بشوارعها الطنينةَ بالمزابيل،
ترسم حداثاتِ عشقٍ يتيِّم.
بأسواقها الضجيجَةَ بالحدادين

ينتهكون هجوعها الوسيم.
بأرصفتها الغميرة بعرباتِ الباعةِ
راكني الشهاداتِ والعناوين.

أشجان الضرباء

ليتها التفاحةُ كانت غصناً أو ورقة.
ليته النهرُ كان خيطاً دمعٍ ونشف.
ليتهم ما حملوا الليلَ مساراً،
لا ولا خَلَّفوا مدناً كانت لهم مثلُ الحدائق.
هُمُ!

أصدقائي الذين صارت الحقائقُ هويةً
لأقدامهم العائرة.
والفضاءُ الغائمُ كلوعةَ الأمهات
دنياهم بلا هويّات.
هُم..

أولئك الذين خَلَّفوا وراءهم بنوكَ الدنى

وتأبطوا أرصدة الذكريات.

صافحتهم البحار!

وضاجعوا وخمة عنابر السفن.

هدر ضجيج القطارات على رموشهم التعبى.

وسرقت المحطات ساعات انتظاراتهم

فما عادت للموانئ المرتجاة فنارات للنجاة.

هم..

أولئك الذين التحفوا أجنحة الليل على أفرشة

من صناديق كالتوابيت، وأكياس خيش

لم يحسبوا يوماً -ولا في الكوابيس -ستكون لهم

جسراً

لإدراك الرغبات.

كانوا وهم يتنقلون من تطلّع إلى أملٍ،

ويودعون محطة محطة وصولاً إلى ميناء

يخلعون أردية الحروب التي سلبت منهم حدائق

الأمنيات،

يتساجلون على قولٍ هتفَ به (هيمنغواي):
"قد يتحطَّم الإنسانُ لكنه لا يُهزم."
فلم تُعدْ لديهم ذاكرةٌ للاسترجاع.
كانت الذاكراتُ لديهم مجفَّفةً تحتِ صقيعِ الجوع،
وطوايا التعب،
وضرباتِ أزاميلِ الشقاء.
كانت الذاكراتُ ترفعُ هويةَ الوهنِ،
مجاهرةً بالخواء.
هُم..
أولئك الغرباء،
أبناءُ أمي..
الانقياء
التعساء
الواقعون في جبِّ الضياع
أبناءُ أبي.
أبي الذي تكالبَ عليه جيشٌ من أبنائه العُصاة.

وأيضاً لأنه ارتدى بدلته الخضراء،
وربطة عنقه الزرقاء
وعلق قلبه الأبيض على ياقته، ماشياً بخيلاء
الوطنِ الفخر.

"لا عليك.." قالت السماءُ
"هم الأبناء هكذا.. صالحٌ وطالحٌ"
يممت عينيه شطراً أبناءه الغرباء، البعيدين
أولئك الذين أبصرهم على محفّات الغيوم تائهين،
بكى وطني!
وطني بكى!

فاحترقي ولا تنتظري عودتهم أيتها الفاخنة التي جمعت
النظرات

رسائلَ استقبالٍ لأصابعهم التي ذابت مثل الشموع
على خشبِ السفنِ التائهة،
والخلجانِ التي ليست لها أسماء...
احترقي

فلا ترسمي فاناراً ،
وتلوّني بحراً ،
وتضعي زورقاً على قماشة حُلْمِكِ البعيد..
لا ترسمي شمساً
وتطردي غيوماً تحملُ الرصاصَ وتقولين :
ها هم قادمون.
لن يكونَ بمقدوركِ منعَ أعاصيرٍ قالت سَأْجِيءُ
لأُغْرِقَ الزورقَ ،
واكسرَ الشمسَ ،
وأنهي عمرَ اللوحة..
اللوحةُ التي عنوائها (الانتظار).
فحين يتمُّ القمرُ توزيعَ فضّتهِ
على البساتين ،
وينامُ على فراشِ ماءٍ دجلةَ
تنزلُ بغداد من شرفتها
فاختةً حزينةً.

كلما صاغت الخطو ميساً قالت:
أنا من سلالة المساءات المسروقة
من خزانة الأمنيات!
أنا وريثة الرماد
من باقة القلوب الجمر.
من عطش النهار التائه
من دمي المسبوك بفضة الأسي
من قصائد صاغها الرأسُ الصريع
أيتها المدينة المتوزعة بين دجلة والشجن:
أمن شحوبك تصنعين وشاح الدموع
أم هي الدنيا فرّت بأحفاد سرورك،
وأغوت أولاد هنائك بالتشردم؟
أم أنتِ القصيدةُ تنتظر اكتمالاً
لا يجيء..
أم هم الأولادُ سيفيئون
على حلم أمّ تنده أن تعالوا؟

وأب كالفنار يلوّح بأكف الضوء:
عندنا الشمس، والزهُوُ والخمائلُ.
عندنا عطرُ الرشيد، وزحامُ الشورجة،
وأصابعُ جواد سليم على جداريةٍ من فخار.
عندنا.. وعندنا

عندنا... عندنا!

.....

.....

.....

فهاتوا شوقَكم؟

٢٠٠٩ / ١ / ٨

مطر بيكي

احب البكاء تحت المطر حتى لا ترى الناس دموعي.

شارلي شابلن

سأمشي.....

أتكئ على عكازٍ من هواء
وامتشق اللهفة درعاً للبوح إليك.

أيها الوطن!

.....

.....

وَأنتِ يا مدينةَ الفراتِ والذبابِ
سأتوسد آهاتِك؛ واحلمُ بشرطي الرغبةِ.

يوقظُنني من أرقِي...
.

صباحُ الخير يا
صباحي الجريح!!!

(٢)

أيُّها المطرُ.. تعالَ إلى بيتِ حزني.
واطرقِ بابَ ذهولي...
فأنا ابكي..

تعال!

أعددتُ لك قهوةَ انتظارٍ.
بفنجانٍ شهوٍ تحلُمُ بقدوميك
أعددتُ لك حديثاً ذا عتاب.

أيُّها المطر لا تصدِّقِ بكاءَ مَنْ يبعثونَ إليك برسائلَ
اليباب

بينما هم يجمعون دموعك رصيذاً لاضطهادِ الأرض.
لا تصدِّقِ الذين يجلسون على أعتابِ غيمِك!
إنهم يمتُّون الطمعَ ببراءتكِ المائية.

لا تصدِّق الذين قالوا للوردة يا لجمالِكِ ثم
طوّقوها بأسوارٍ من حَسَد.

أيها المطر

تعال إلى أصابعي،

فهي تنتظرك مُذ تركتها عند مقهى الشفاه اليابسة.

تشرين مرَّ عليَّ اليومَ نحيلاً، وعطشاناً.

وكان المتنبّي

يرسُمُ قصيدته "على قَلْبِ كَأَنَّ الرِّيحَ تحتي"

ويذرُعُ الشوارعَ متكبّاباً "السمّاءَ والعراقاً"

حدّثني عن دموعِكِ السخية وأنت تتوءُ بالسمّاء

تاركنا نبحثُ عن طائرِ الغيمِ الذي فرَّ

من كفِّ لهفتنا.

هاتفاً:

لا تدفعوا الوردَ إلى اليتيمِ الطويل

فالنرجسُ لا يغارُ من قاطفيه

بل من ملوثّيه!

والقرنفلُ لا يحمرُّ خجلاً من ناظريه

بل من جارحيه البرابرة.

حزينٌ هواءُ قلبي.. يا مَطْر

وعليل!

مثلَ عصفورٍ بلا غصن

مثل غصنٍ غادرته الزغاريد.

غارقٌ في نوحِ أمي، وأسير!

أسيرٌ تتناهيني دهاءات الذئاب

أسيرٌ فليس غير همهمات أخوتي!

وعيونهم حمرٌ ترمي جمراتٍ حقدهم

على ياقوتتي.

بريئةٌ أرضنا وعطوف.

رائعٌ نخيلُ بلادِي، وعطشان.

ضياءٌ نساءُ مدينتي ولكن

سرقوا صغارهنَّ العذبين لأنهم

يغازلون البهجةً، ويغزلون نافوراتِ الضحك

لنهارات ستأتي.
وحيدةً كامرأةٍ ثكلى في ليلِ الدموع
بلادي، يا مطر.
زُرْها في فجرٍ هجرتهُ نسماتُ القربى.
أغرِقها بشوقك المائي، واخطفُ من جيوبها
اليباب.
ألبسها ثوبَ التطهرِ من أخوتي الأعداء.

اهمس في أذنِ ذهولها:
اصح من سهوب رقتك.
وانهضي من رقدةٍ جراحك فقد طفحت عذاباً تُك
وأنا رفيقك أبكي،
لكني بعيد.

(٣)

نتساقطُ مضرجين بالفجر.
ونهطلُ مشتعلين بالتراب
انتحارُ النص بالولادة ننتظر
عندما الغبارُ يترجل رواقاً للأمانى
الراشحة في جدول الهباء!
ارتقاءُ الشقاء حيثُ الشوارع
تستقبل "الجواهري" بيكي سلاماً
على بساتينٍ رماها عليكِ احتفاءً.
وترى ابن الجهم يتوغلُ لأتّبَ الروح
بعين مهاه عندما الذئبُ تحيطُك بانتشاء.
يا غزالةَ التاريخ العائم في الرماد؛
أو الكتابَ الغارق في السيوف المثلومة.
أفوه نادهاً:
أرادوا أن يسرقوا الدهشةً من عينيك

ليتركوكِ سنونو أعمى؟.

ونادهاً أفوه:

خططوا لاختلاس العواصف من أصابعك

ليخلفوا لنا جرساً أخرس؟

لكنك كقصيدة النثر تتمايسين بالغنج، وتهمسين:

سأخرجُ من بيت النشيد

امرأةً، يلحقني آلافُ العشاق.

وأنا خميلةُ الورد لا أصلحُ للمطرِ الأسود

لا يغسلُ قدميَّ سوى بوحِ دجلةَ،

وناي عاشقٍ عند أبي نؤاس.

قوارير الطيش

يا سارقةً جذوة أصابعي
وهاتكةً بياضِ الورق..
يا هاربةً من صلواتي
وزارعةً أرضي باليباب
لماذا كي أشتري قبولك المستحيل
تلزمني التضرعات؟
وكيف لي أن ألحق المساء
وأدخل الهناء من بابِ شَعركِ الظليل؟
يا لهفي الكسير
لماذا تسرق منِّي مواعيدَ الفراشات التي لم ترتوِ
من همسي؟

ومن يطيح بهيبة الوردة التي ما شبعت من العطر
ولا ارتوت من ميسها العيون؟
مَن يغرز إبرة الوقت الهارب كطعنة غدر
في ذاكرة المتعبين؟
ولماذا يكتفم فمُ الندى أسرار السحر
ويمنع الحكايات عن مسامع الحداثق؟
أمس اندفعنا نللم الكركرات، ونجمع الحارات في
جيوبنا.

نذهب متوارين عن الرصانة إلى الفرات.

خذ قواريرَ طيشنا ثمناً لمائك.

خذ، يا فرات!

خذ.....

.....

.....

هاهاها.. ههههي!.. يضحك!

يترك الضفاف تغتاط من صيحاتنا

وشاكر البلاء، بصوته البعير،

وأسنان سرققتها عبوةً مزروعةً

على طريق السلام:

(مدارث! يا مدارث.. لا تكربون!

ثايم الله عليكم.)*

نلمح شياكاً يجمعها،

نلمح أعواماً ابتلعها منه هذا النهر الغارق في الماء،

يقايضها مقابل حفنة أسماكٍ يومياً.

نلمح البيوت المطلية باللبؤس طافيةً على لهاث الموج.

نلمح العابرين من مشارف الشغف

نحو أفواه الوحوش.

هناك في غابة الضياع

ما وراء البحار،

ما بعد الخيال الكاذب المرآئي.

نلمح القادمين من صحراء التعب

* مدارث: تعني مدارس؛ تكربون: تعني تقربون؛ ثايم الله: تعني سايم الله.

بلا هويات.

وعندما اشتاقت السماء لماء الفرات

حافيةً ذهبت.

السوق الذي خبأ خطوها واختزنه

قال:

ما مرَّ الرعاة بأحلامهم صوب بادية

الجنوب إلا أودعتهم من بضاعة القلب.

ما نهض الخارجون من كابوس الفقر إلا ربتت

على ظهورهم الموجوعة وهمست أن انتظروا

مصاييح ستأتيكم يوماً هادرة كالأفراس.

ما هاجمهم تثار الكدر وفرغت قوارير قلوبهم إلا

تأتي رافلةً على إيقاع الصبر

تمنحهم سيف النصر،

وتسقيهم خمرة البقاء.

الأزقة التي ملمت حكايات المساءات قالت:

نسيت السماء عباؤها حين اشتاقت للفرات.

هرعت! تصنع كلمات تمطر شعراً من نخيل.

تصوغُ دروباً من طينٍ

ومواويل من بساتين.

هذي المجنونة من فرطِ البراءة،

وشدة الصفاء

جلست عند قلب الفرات.

مدت أناملها النحيلة إلى نبضه:

-يا فرات!.. الخنجر في صدري!

لست سعيدةً الليلة!

-الليلة؟

-الليلة!

إذا ما الحنينُ طرَقَ الباب، افتقدتُ رجلي!

رجلي الذي علّمني المجيء على غير مواعيد؟

ترك الأحلامَ تحت وسادة الانتظار.

ترك أنفاسه معبأةً في قارورة الاشتياق.

ترك دموعي اكتبها غيماً على فضاء القمر.

ترك البساتين المعبأة بالتأوهات.. وقال:
لقد حيرتني الرمال، ونادت عليَّ غزلان السراب.
امتھنتُ الشعراً وجمعتُ العصافير تزغرد لرامبو
في عرس الكلمات،
وبودليراً غرقته في غواية العطر
فامتھنَ المطر!
وتزوج فتاة النثر بعدما طلق أرملة الشعر.

لا تحرقى قلبَ الصبي

لا تحرقى قلبَ الصبي
أيتها النارُ الخارجةُ من شيخوختي.
لا تسرقى لعبةَ اللحظة التي اقتناها من الرُّقاق
الورديِّ لحلمه الجميل.
لا تخطفى شوقَ الصبي
أيتها الصحراءُ المنتعشةُ في يوميَ القادم.
لا تجعلى الحصى تملأ جيوبَ سنواته،
ولا "الدشداشة" تقصرُ عليه.
لا ترمي عليه الفواختَ وتقولي له اشبع من الرُّثاء.
هو الشوارعُ دعيه يحصد كركرات الخطى
وأطلقه يعدو صوبَ أمّهات الحمام يحملن

رغيفَ الهديلِ لمسامعَ صبايا يرفلنَ على قارعةِ
الغناء.

يا عجوزَ الأيام:

يا محطةً امقَّتْها بحقائبَ فارغةٍ
واهجوها بتثاؤبات.

يا كرسياً مكسوراً عطَّته الأردافُ النُّقال،
وتكالبت عليه عجيزاتُ النوائب.

يا أحجاراً تجثمُ على قلبٍ بهجتي
تقطَّعت قناطرُ الرخام

وراودتني سنابكُ المهزومين تنهضُ

من نحاسِ الروحِ المعتلِّ بصدأِ الحروب،

ومقتِ السياراتِ المفخخة،

ودمِ الوردِ المسفوك.

وما تبقى -يا عجوزَ الأيام - اختلسه السياسيون

وحملته في أكياسٍ من دهاءٍ أكفُ الوراثيين.

يا ليلي الذي أقطفُ له الأحلامَ من يقظتي
واجمُعُ له الموسيقى من حُضنِ الصباحِ.
يا حكايتي التي تُداهمُ الذاكرةَ في سباتها
أرتديكَ عِباءةً
تقيني من عيونِ ذئابِ الحسدِ
فلا تقلُ لي توقّفِ أيها المتطيّرُ وتبَلِّلُ بالرخاءِ
لا ترمي عليّ خفافيشَ الوحشةِ وتقولِ انهلِ برواءِ.
لا تعاهدني على النومِ الثقيلِ.
أنا من جوقِ الصبيةِ الذين باعوا الوسائدَ
والتحقوا بالأعاصيرِ.
الأزقةُ تنده بنا أن نهربَ من سجنِ الصمتِ
لنتحدُ تحتَ لافتةِ اقتفاءِ المطرِ.
الماتمُ تتعقبُ زوارقَ هجوعنا العليلِ
والأحزانُ تتشبثُ باردانِ خشيتنا من عالمِ
يتوعدنا بالآلامِ.

فلا تقل: ما لك يا عصفورَ الصحراء.

المقابرُ لا تقرأُ تراويلَ الرحيلِ

بل حشودَ الأعيادِ الميتة.

الشواهدُ لا تفضحُ جبروتَ الحجر

بل تذكّرنا بالخمائِلِ الصامتة.

المطرُ لا يحتفي بالوميضِ والرعد

بل يبكي غسلاً للنارِ الكامنةِ في أعماقنا.

الصحراءُ لا تشكو عطشاً

بل تنصبُ فِخاخاً لعُشّاقِ الماء.

الريحُ لا تُوحى بالموتِ

بل تُنبئُ بالبعث.

المناديلُ لا تلوّحُ للوداعِ الأخيرِ

بل تشهقُ من ألمِ اللقاءِ الأولِ.

أنا لا اكتبُ شعراً

بل انزفُ روحاً

أنتَ لا تحثُ خيولاً تخب
بل تعبقُ دماءً تصهل،
يا ليل...

السماوة ك ١ ٢٠٠

مَنْ طوى الغيوم بكم

الأمال التي زرناها نجوماً على ديباجة أحلامنا

فرّت من عنق زجاجة اليقظة.

والأعوام التي طويناها كقراطيس تحمل تواريخ شوقنا

الأبدي

لوفاء بكت على بلاهتنا، وإبحارنا في طرقات الرمل،

بكت..

مَنْ أهرقَ في جوفنا الكلمات

فأغرانا بالبوح،

ولعننا بتفاحة الشعر؟

من أيقظ فينا طيورَ الأسئلة،

وفي غابةٍ تحتمي بالظنون رمانا!؟

من جمع في دربنا الأحجارَ وقال تذكروا

الحروبُ كالصبار، فادخلوا حرباً إيرانية - عراقية

بعمرٍ يحلمُ بالعشرين. واخرجوا من عاصفة الصحراء

بأمانٍ ظلَّت في الصحراء.

من أوصانا بالخشية من معاقره الفرح.

وألقى بترانيم الشكِّ لنشربها بكأس الأيام

وقال هذي سماوتكم المتوزعة ما بين الماء وبين الرمل

فاخرجوا مطرودين من أزقة طفولتها ليس لكم منها إلا

حقيقية الكلمات.

آء...

كيف أخذتنا -يا ترانيم الحشرات - صوبَ ميادين

الهباء،

و"مزادات" صداقاتٍ أكلتها فايروساتِ الندالة

والحسد، والمجون.

الرسائل التي كتبناها لحبيباتنا لم تصل

والكتب التي شربنا ماءها ما روتنا!
السماوة التي قالت للطفلِ الراكضِ سنياً
في حوارِ الجدلِ: اترع من شغف
اللهِ، واجنِ حصادَ الدروسِ،
من الصفوفِ المكتظة بالتلاميذِ
أبناء الفقراء ما عادت تلك التي تركناها.
نلودُ بعباءات الذكرى
ونسترجعُ بانوراما الفرات
نداءات يطلقها وشوشةٌ لنا
نحن المتسكعينَ بنومٍ على أفرشةِ الفجرِ المنداة أن
ننهض، فقد ملَّ الانتظار.
وننهضُ!!
راياتنا تتجه صوب أبعديته،
وضفافه تبئننا بجلجامش يرمى جسداً يتوازي وقامة
أنكيدوا

وقد عفرهما الرمل، يبعثان الأنظار باتجاه الآلهة
المتوارية في زرقه السماء

.....

.....

.....

في جيب الأعوام
كانت تلك المعجونة بلون الحنطة
والمطبوخة على نار الفتنة
تدوفنا بصدى كركراتها
والخال الرابض على ربوع خدّها الأيمن
يناهضنا بالنزق.
يبعث رسالة الضياع..

يومها

كانت السماوة تستعرض فراغها أمام عيون تتلصص
من خلف كوى الرعب، وطفل يسأل أمّه الغارقة في هوة
الذهول وغيم الجزع عما يحدث في الشوارع ولماذا المدينة

تتمطى على هول الفراغ بلا عرباتٍ تدربكُ على صدرها،
ولا باعة خضار يطلقون الشتائم كعادتهم على مشتريين
صاغرين.

أكلتنا خضرةُ النزقِ، مُلقيةً بنا في زقاقٍ
زرعنا بالضجر
وترانيمُ الشكِّ لنا كأساً يومياً، قال.
سأريق فيوضَ العطشِ فوق طفولتكم التعبى
فأبقيكم رجالاً مهوسين بالذكرى!
شيوخاً مطعونين بالأيام.

وحدة

أحزنَ القمرُ

أنَّ شرفتكِ مُنارةٌ

ليس فيها إلا أنتِ

وكرسي فارغ!

أيها الضجر.. يا صديقي

صديقي.. أيها الضجر

ترفّقَ بي.

مثلكَ أنا

سلالي فارغةٌ إلا من حشودِ الحسرات..

مثلكَ!

العاصفةُ التي مرّت من أمامَ

دموعي قالت لي: انحني!

مثلكَ!

لياليّ أسرّت بما يشبه الخدوش

أن أزرعَ الرأسَ بالمخاوف

والقلبَ بالظنون.

أن أتناولَ الشجنَ حلوى
وانتظرَ تعاويدَ النيات.
أن أحاورَ الأصابعَ الضاغطةَ على زنادِ الوقت
والنتائجَ الآتيةَ برصاصِ الاستغاثات.
أن ألتهمَ التمايمَ الصانعةَ خبزَ المصائر
وأكتفي بتحيّات الخراب.
قلبي ابيض.
وحصانُ وقتي -مثلك -من رماد.
كفي شجرة!
والمسراتُ لا تقطفُ سوى تفاح الإخفاق.
لذلك إذا جاء نصرُ العتمةِ
ورأيتَ الشفقَ يخشى صولةَ الظلام
فتكَبْ بندقيةَ المثول
واقتني أثرَ الضياع.
تعالَ معي!
نعثلي مركبَ (رامبو) السكران؛

أو ننامَ على عشبٍ (ويتمان) الأخضر.
فليس لنا إلا غرقٌ في المستحيل.

البنّت التي قالت لي احبُّك بالأمسِ
جاءتني اليوم لتقول:
أكرهك، يا أخ الضجر.
المعلمُ الذي ربَّ لي التصفيق بالأمسِ
واحتفى بي كتلميذٍ يجمع ورودَ الدرجات
اتَّهمني اليومَ بصحراءِ الكسل،
ودوّن على سبّورةِ إدانتني:
للضجرِ أصدقاء.

الطبيبُ الذي عرضتُ عليه ساعاتي
أمطرَ عليَّ غيوماً من أسي، وقال:
مُصاب أنتَ بالضجرِ، يا صاح!
العِرافةُ التي مددتُ لها كفَّ القلب
تضبيّت أمامَ أنظارها الأحجار.

أغمضت العينين وتاهت في دروب التمتمة:
ضجر..! ضجر...!

أيها الضجر!!
المدينة رفعت لافتةً رفضك
وأنت تدخلها كلَّ يومٍ بشعارِ الغواية.
الأزقة اختنقت من رائحة أصابعك
وأنت تخرجُ من أنينها كالتطاووس

أيها الضجرُ
يا مُزاحمي في الشوارع،
وملاحقي في الأحلام.
يا أبا يتكّر لأبنائه الأغنياء
ويجاهرُ بحبه للفقراء
لماذا لا تنام الليلة على وسادة
نسيان البائسين،

وتترك رفقة المحرومين؟
لقد ضجروا منك أيها الضجر.
وأنت كلَّ يومٍ تنزعُ رداءَ الإحساسِ
فلا تكتشف انزعاجهم منك،
ورغبتهم في غيابك.

لهذا ، لم يبقَ لك غيري رفيق
ولم يبقَ لي من صديقٍ إلا أنت
كلُّهم ماتوا بأعاصير الضياع

فلماذا لا تموت؟

لدي رصاصةٌ واحدة

على من أطلقها؟

عليك أم علي؟!

قد لا أدري

(١)

قد أكتوي بشوك وردك البري
وأحضنُ اللظى.

قد أستحيلُ شارعاً ينتظرُ
قوامك الشمعي لكي يُضاء بالبهاء.

قد أطويَ الحلمَ الذي يضمُّنا

فأرجمُ الليلَ بالنجومِ الراقصات

وَأدخلُ الفردوسَ من بابِ خالِ خدِّكَ الشهي،

وأتركُ الحزنَ الثقيل.

قد يُعلنُ الجمالُ احتجاجه على فعلِ أصابعي لأنها خرقاء

تسببت بارتفاعِ خفقِ قلبكِ الرهيفِ يومَ

ارتشفت تلك الأصابع الرعناء قهوة خدك المرة اللذيذة.
قد تتدخل أمك في كتابة الشعر
وتمنع قافيتي من التهاك عند تخوم ابتهاجك.
قد يُجاهر أبوك بأني مراهق لا أجد الركض كما
الأسوياء.

لكنني سأتقمص حبر الغواية وأكتب قصيدة العسل
يهطل من شرفة شفتيك الغارقتين بالبريق
وأتركهم أصدقائي يشيرون عليّ، قائلين:
هذا شاعر أكلته السنين لاهتاً وراء قافية اسمها خدك.
وجرجره خال يشكل هوية توحى بالدهاء.

(٢)

لا تلوميني لأني ألفُ أزقةَ المجانين

وأقتني ضياعاتٍ ليالِيهم الغارقةَ

في أحاديثِ هواءِ.

لا ترشقينني بضحكاتٍ من هزءٍ

وقصائدٍ ساخرةٍ من كلمات.

لا أنتمي أنا للأسواق المفتوحة على بضائع الغواية.

لا أسرّب شعاراتِ المواعيدِ المستحمةِ في ليلِ العاشقين

وأقول: متيمٌ ولهان.

لا ارتمي في طقوس الجنون وأحمل السراب

أنا أزرعُ الكلمات كي أنتجُ غزلاً يليقُ بهويةِ قلبي

البريء.

وارسمُ بسماتٍ، علَّ قلبك الغزال يخطو مرّةً على خميلةِ

الورقةِ

فيقول هذا شعراً سارتديه قميصاً لحفلة الإفشاء.

وتطرقين بابَ شوقي الدفين، بالهمسِ والوشوشةِ

وتتقرين ببهاءٍ عينيك فضاءَ رُوحِي المتطلِّعِ لغيمةِ قدومكِ
مُذْ خطوتكِ الأولى في مَسَارِ انتظاري.
وأنا "أراغون" الراسمُ حضورَ "الزا"
بلسماً لقلبي الحزين
فهل تجيء؟!
أقصد هل تجيئين؟!

(٣)

أدري أنّ ما فات غدا من حكايات الغابرين
وأنّ ما هو آتٍ يرسمُ أقواسَ قُزحٍ،

وسماواتٍ تسوح

وغيوماً ترقصُ "الجوبي" على إيقاع "جورجينا"

و"تك.. دُم.. تك.. دُم"

أدري أنّ حاراتنا ستتذكر يوماً أنّ ثمة

أزبالا كانت هنا..

وكانت هناك!

وأنّ الوردَ حين يرقصُ الآن فرقصته فوق أطلالِ العفونة

الكانت،

وأنّ صبياتِ أزقتنا الفقيرات ما كنَّ هكذا مُدللات،

ممتلئاتٍ بالغنج.

أدري أنّ أمّي صرفت زمناً تتباهى بابنها الواقعة في

غرامه البنات،

وأنه يكتب الشعرَ فيتساقطنَ فراشاتٍ عند ضوئه

الشذي.

أدري.....

وأدري.....

وأدري.....

لكنّ الذي لا أدريه هو:

لماذا كلّما ضحك العراقُ تفجّرت السكاكينُ ثأراً،

واستبدّت فكرةُ البغضِ الدفين؟

لماذا حيثما شربَ العراقُ مياهَ جنته البهية

تتادهت الضباع،

وعمّ ليلُ الحقدِ في مضارب الوجوه

وأُعلنَ الجهادُ على السعادة؟!؟

آب / ٢٠٠٧

صورة تكُف

بابٌ موَّصَدٌ..

خلفهُ أريكةٌ مُنْضَدَةٌ

فوقَ طاولةٍ ثَمَّةٍ مطفأةٌ بلا أَعقاب

يعلوهُما مصباحٌ ملتهبٌ.

على مقربةٍ امرأةٌ منكفئةٌ على سريرٍ..

أين هُم...؟

خذوا حزني وبدوّه

(١)

فتح "السماوي" كتاب الأحلام
فاندلقت الحقائق على رموشه
طارت العصافير من بين أسطر أصابعه
هتفت فتاة كانت تخبيّ الفرات بين طيات جديلتها
وتتثر البساتين على فستانها القصير:
قفي ها هنا أيتها الصفحات،
وتابعي انسكابك يا أسطر.
فلي مع السماوي حديثٌ لا تدركه سوى الحقائق،
وأمهاتها المنتزهات.

(٢)

أغرقتني بفيضها ، وأرتني نهراً ونخيلاً..

أودعتني شباك صيد ، وقالت:

ذاك بحر العلم.. فهياً!.. كن صياداً.

انطلق الصيادُ بزورقٍ عزمه.

صوئتها ينده ، أو يهمس ، أو يتعالى إيماءً:

كن صياداً.. هياً.

كان يلوحُ برجاءاته أن ترشقه بأمانيتها.

نعم!!

كنت ألوح ، وأنا أغرق في دنيا الفيض..

ألوح ، وألوح.. وهي تُريني نهراً ونخيلاً..

وتتادي: ذاك بحر العلم.. هياً.. كن صياداً.

(٣)

غرقت في بحر الأحلام..

وتوارت تبحث:

عن فارسها الذي قال لها:

سأجلب لك القمر حكاءً

والليل عربة مواويل..

عن الذي نامَ وإياها على بساطٍ من رحيل

وقال: هذا الذراع وسادةٌ فسافري

إلى جزر المستحيل، لتجيئين

بضفيرةٍ من قهقهات..

وحناءٍ من سرور..

هي الآن تنتظر..

وتنتظر.

(٤)

إذا القبضةُ أحكمت حيازتها على ماءِ السراب
وارتدت حناجرنا أرديةَ الهديل.
فاكُتَب على مسرّاتنا الأندثار..
وتنحَّ عن ثناؤبِ آمالنا.

(٥)

عند الفرات

كما شجرةٍ ممتلئة

وأوراقٍ تينع

انتصب قليلاً

وبكى

.....

.....

أهلُهُ لا يُحسنون

قطفَ الثمر..

(٦)

خذ النهرَ لك أيها القادمُ من محطاتِ

الحقولِ..

لك القمحُ سنابلُ تُديمُ رقصَتَها على خيلائك

المستحيلِ.

لك التضرعُ على طبقٍ من وفاءٍ

يأتيك

من جريحٍ طعينٍ بخنجرِ الزمانِ..

أنتَ له الدواء.

(٧)

من طيفك القمر
من كفك الابتهاال
حاصدين الأجديات، يا وطني، نعدو
وعلى ربي ديدنك الوفير
بالخبز والدعاء
ضمتنا عباءة أمنا البساتين
فأترعتنا بالسماوة الفتاة
قائلة: خذوا حزني وبددوه:
فرحاً.. وعسلاً.. وحكايات!

(٨)

أمس

طُرقت بابي نقراتٌ لأناملٍ واهية..

قلت: مَنْ؟

كانت أعيا من أن تُجيب..

كانت حفيدتي التي ستجيبُ بعد مائة عام

شاحبةً، عليلاً، لوعى!

لقد نرفت كثيراً من سعادتها..

بكت وفيراً من تجني أسلافها..

همست في أذني:

يا هذا!

ما لكم تضربون في براري الدنيا كالسكارى؟!

ما بكم؟... حتى نسيتم طعم الهناء؟!

ما لكم ارتضيتم اللهاث ديدنا

فأترعتم بسرابات التيه؟

أمسُ فقط!

(٩)

فِي حديقَةِ الرماد
مرّت فراشةُ الوقتِ على زهورِ العمرِ الذابلة
تبغي رحيقاً..
بكي العمرُ،
والزهورُ استحالتِ لطخاتِ سود
يكشفها تاريخُ وجهه
الغائم
فِي حديقَةِ الرماد.

(١٠)

نحزم أيامنا ، ندسُّها في حقائب الذكرى..
نعلي قطارات الأمانى ، قاصدين محطات الطفولة.
تلوّح لنا بمنديلٍ أبيض وفستان من الساتان المشرق
وخف يحتوي قدميها الريشيتين كرسته لهكذا رحلةٍ ؛
قالت أرتديه كي أطيّر غيمةً في ريحٍ ودود..
نرى البطاح جذوةً تشيع بالفرح.
نرى المدارس التعبى التي أفردت تحنانها ، والصفوف
تبكي

من الهواء البارد الذي يبكينا كلما قذفتنا البيوت
لنشرب العلمَ ، ونأكل الأيام.
نرى الفرات يطلق جنونه في صقيع يعانده.. يفجّر
الأنابيبَ
ويجمد السوائلَ التي في الأواني.
ويقول: أحفظوا ذلك للذكرى
فقد أموت...

حكاية

بَكَتِ الذئبَةُ فانتالت من عينيها

بالوناتُ الزيفِ.

وقفَ الذئبُ إلى جانبيها،

مكسورَ الشوكَةِ، مرتجفاً

يستعطفُ ألوانَ الطيفِ المحجورِ

بأسوارِ عيونِ الذئبةِ.

ثمَّةَ صيادٍ..

من خلفَ ذؤاباتِ الأشجارِ

يُراقبُ مندهشاً!

صوبَ...

أطلقَ من فوهةٍ متحفزةٍ.

قتلَ الذئبةَ، وازدردَ الحقدَ المدفونَ

بصدره.

ذُهِلَ الذَّنْبُ لِمَرَأَى الصِّيَادِ؛ وَاسْتَعْطَفَ

سَاقِيهِ الْعَدُوَّ!

لَكِنَّ الصِّيَادَ بِسُخْرِيَةٍ

رَكَلَ الذَّنْبَ، الذَّاهِلَ..

وَمَشَى..

هواء الفجائع

اشتريتُ مطراً كي أسقيك
لكنك تباطأت فتأبطت الصحراء
وسقيتني بؤساً اصفر
تركنتي عند محطة تستحمُ
بماء اللامبالاة.
تركنتي خَجلاً يُربك الياسمين
وأطلالاً تحتفي بالزمن المعطل
فمن يطأ هواء الفجائع يحوز بساتين
العويل..

ذات حُزْنٍ

يومها

استيقظنا على غناء الفواخت

فانكمشنا من بردٍ، ومدينةٍ

طالعتنا بالشرفات:

شرفةٌ للرمادِ ترفعُ لافتةً:

"لدوا للموتِ، وأبنوا للخرابِ"

شرفةٌ للزهوِ

وطفلٌ يعزفُ على أوراقٍ ورديةٍ

نعمةً البياضِ.

شرفهٌ للكبرياء:
رماحٌ، ودروعٌ، وراياتٌ،
و"نَشْرَبُ إن وردنا الماءَ صفواً".

شرفهٌ للحروب:

سواترٌ، ودخانٌ،
وبياناتٌ انتصارٌ،
ومليونٌ قتيلٌ..

شرفهٌ للرماد:

كرنفالٌ طوائفٌ،
وسكاكينٌ ذبحٌ،
وبنادقٌ قنصٌ،
ومسدساتٌ كاتمةٌ

شرفةٌ للشعرِ

يتهاطل كما مطرٍ تحبل به غيمةٌ سمراء
تجاوزنا بالياسمين،
وتتشر على شراشف أرضنا الحزينة
أحاديثٌ عُشاقٍ استهانوا بجنون المفخخات
وسادية المفخخين.

شرفةٌ لليل

يجلس على أريكتها شهرياً واحداً
وشهرزاداتٍ بكمّ النجوم ؛ يحكين
ويحكين.. ويحكين.

قالت أيامي المتأبطة كتاب الهيام:

تلك شرفةٌ للعشق

كانت "السماعة" فيها طفلةً

ابنة ريفٍ، مثلما هي ابنة مدينة.

ومن هناك.. قالت الأيام:

كانت أكفُّ الرمال تنادي عليها.. تغريها:

أن تعالي لبادية الفح، الهجير، الصهد..

تعالي.

أيامي قالت:

الفرات لم يرض عنها!

قال: لن تذهبي، يا حبيبة!

سأطوقك بذراعي المائيتين

وأعشقك موسيقى أزلية

من يومها والسماء تطلق ضحكتها المائية

والصحراء غابتها الناهة

والسماء غيومها الماطرة

والبساتين نخيلها العاشق.

ميكانيكا

عالمٌ سيّرتَه الميكانيكا
سحابةٌ هادرةٌ ذاك العالم
على نوافذه الصفر، اللامعة
أرسينا العيون.
تحوم السماء تتأى
كذلك تتأى مساحيقُ الأرض..
تتأى.. تتأى!
أنتِ وأنا، ووجهُ الرفقةِ الغريباء
ترشقنا نظراتُ الحسناتِ الثلاث،
يتهايفنَ، فراشات.
بين كرسيِّ الأيمن، والأيسر كرسيك
يقطعنَ الدرب.. طويلتهنَّ الميساء

تفوهت نغمتها؛ عزفت

Welcome.. welcome

أنتِ تضحكين..

أنا أعدُّ البَرْدَ المصفوف يعرضه " غاليري "

الضحكة..

يعجبك موج السيل الأشقر يحفُّ الخدين الحمرادين

مبعثرة بين حفلاته أحرف w..el..c ...

أنتِ تضحكين..

أقول: لو تبادلتما الدور ستصير سحابة الميكانيكا

كوناً ثانياً..

سنغدو نحن الركاب نزلأَ كوكب مداره بيديك!

ننسى أننا في طائرة.

أنا أعيدُ الأحجار وأرتّب.. أعيدُ وأرتب!

وأنتِ تضحكين..

بعد قليل ستهبطُ السحابة، ونفترق.

أنا سأظلُّ أبحثُ عنك، ولا أنسى.

أنتِ ستبحثينَ عنِ سحابةٍ جديدةٍ

وتتسين..!!

فـرق

أحزنها أنه يقودها إلى غابة المستحيل
يملي عليها شوقاً يجمعه من أرصفة الجفاء.
آلمها بسمته ثمطر كبريتاً
يحرق صورة الملاك الذي في قلبها
أغرقها بيمّ الرمال؛ رمى عليها الصحراء
لم يوهبها الضفاف مقرونة بالنهر؛
ولا مرة قال خُذي الواحة والغدران.
على سماء الريح دوّنت:
أنتَ تمحقني عَسفاً، وأنا كالمبتهلة أصطفيك!
أنتَ حديقةُ القصيـدة في دفتري، وأنا ورقُ الخريفِ في
نزقك.

آآآآآه.. لَكُمْ قتلتنى!!

شبهات بلون البوح

(١)

لي سورتى ولكِ قرآنك

لي شعري ولكِ شعركِ.

ارفلي على نسج الكلمات

وتيهي ضفةً تسرُّ المتبعثرين..

وأنا أتجمّعُ.

صدري أخضرُ والماءُ هويةً للنشوة.

أناملكُ طيفُ قلبي يرسمُها شمعاً

لا تقولي لمن يبتهجُ الفستانُ،

أفهمُه: بُستاني!

لا تقولي لمن يضحكُ هذا الشعْرُ الخارجُ

من أقبية "القرّاصات"؛ وحسدِ "الماشات"؟

أعرفه: من مُقتنياتي!

ارفعي اطارَ انكماشِكِ وابتسمي لتوسلاتي

فأنا ايتها المغموسةُ بعسلِ الخجلِ،

والنساءِم المنفلتةِ من كفِّ الصباح

كتبتُ على جبينِ الهواءِ ساعاتِ بكائي عند شرفةٍ لا

مبالاتك

ورسمتُ قهقهاتكِ على تهالكاتِ احلامي بحيازتكِ،

ولم أدركُ أنني ذلكَ الذي امتلككِ يوماً في السراب!

ولم اصل جزيرةَ المنتهى إلا وبين اصابعي ماءً حُبِّكِ،

وعبارةُ تقولُ "كان يوماً....."

(٢)

أيتها الطافية في ظلّ الكلمات

الرابضة عند تخوم الهلام،

يا مندفةً بالهباج،

ومقتحمةً بالهيمنة!

أحلماً أن اقتتيك نسمةً هاربةً من ضحكات الورد،

وأرسم رجاءك في أن يبقى انشداي إليك حُلماً،

وارتباطي بك مُلحاً؟

أين يكون الخطو الآخذ بي صوب جنانٍ

لا تغلق أبواب العطر؟

أين تكون التفاحة الضاحكة في اغوائي؟ على آية

شجرة دهاء؟

أحلماً كان الذي جرّنا إلى بستان الاحلام

وأودع فينا جذوته النارية،

ووشوش في آذان دهشتنا بعض الهمس الذي حولنا

إلى ايقوناتٍ للجنون.. فولول:

احلموا!.. احلموا!

(٣)

أمس!

ومن بين يديّ فرّت اجنحةُ الاحلام
واستحالت كركرةً من صغارٍ جذلين

لوّحوا لي وانطلقوا في هيام:

يا هذا.. لما تكبُرُ تأتيك النتائج!

وعندما تشيبُ تبدأ قائمة الحسابات.

عُب إذاً من دُنِّ هواءِ الازقة،

واجمع في جيوب العمر احجارَ النشوة.

شفاهُ الحبيباتِ تدوّنُ تاريخَ المسرّة.

تعبثُ بايامك التائهات في براري الضياع.

بميميكِ عربةٌ تحملُ فاكهةَ الشّعيرِ

يقودُها حوذِيُّ اسمه رامبو!

يهرُّ خيلَ الاماني ويدندن:

"سنكونَ على ما يرام.

عُشُّ قُبَلٍ مجنونةٌ يستقرُّ في كلِّ زاويةٍ وثيرة."

(٤)

كنتُ كثيراً أترجمُ الليلَ شعراً

وأغني على ايقاعِ بسمتكِ مقامَ الاناشيد.

كنتُ كثيراً أُلِّمُ صدى ضحككِ البخيلة

فأصوغها نهراً لصدرِ عنادكِ الوفير.

كنتُ كثيراً أقولُ متى ننسجُ سجادةَ اللقاء الطويل؟

وإلى متى نرسمُ الانتظارَ علامةَ

(قف أمامك مطبات)

و:

(لا تسرع.. الموت أسرع).

أسرعتُ!

فلم آبه لمطباتِ العشقِ

وتهت!

فلا تتسينَ تائهاً حفر على ساعد الاعوام:

"ها هيَ تُقيل، فانتظر أيها القمر، حتى لا يراها الجار.
وأنتِ ايتها الريح، اهدري في الاوراق حتى لا يسمع احد
خطاها."(*)

السماوة ٦ / ١٢ / ٢٠٠٧

-
- من القصيدة العشرين من قصائد (غوته والغزليات الرومانية):
ترجمة سركون بولص وستيفان فايدز؛ مجلة نزوى، العدد ١١ /
١٩٩٧، ص ١٧١

اسنحواذ

رقاصُ الساعةِ في عدوِّ،

لكنَّ العقربَ يزحف!

يلهتُ هذا الرقاصُ، المسكينُ

ويلهتُ...

يلهتُ...

والعقربُ يمتصُّ الساعات!

خريف

في الشارع..

على محفة اليأسِ

العجوزُ الجالسُ يرى؛ ما يرى!

تأوهاتٌ وشتائم!

قمصانٌ وتنانير!

ليلٌ، ونساءٌ كالكوارث

يشاكسنهُ بمضغ الأردافِ،

وترجرج الفاكهة.

العجوزُ الجالسُ

يستدعي أشباح أيامه الهاربة

ثم.... بانخزالٍ يترك لأصابعه البائسة

التسللَ إلى حومةِ

الذبول.

خريف ٢٠٠٣

وهيبة

لا تلمني على انتظاري

جعفر حسن درجال.

لا تلم نفسك.

لا تقل انك لم تستحقني.

كان يمكن أن اكون لك.

كان يمكن ان تكون لي.

الجسر الذي بني للتواصل هشموا دعائمه

والنهر الذي وهبته السماء لنا ابعدوا ضفافه.

لا تلمني

نعم، حزينَةٌ بقيتُ

والحزنُ حين يطول يستحيلُ سعادةً

يصبح قصيدةً لا تنتهي
لذلك كنتَ يا جعفر حسن درجال
قصيدةَ الحزن السعيدة؛
وأنا وهيبة، صرتُ حزنَ القصيدة التي لا تنتهي.
لا تلمني.. لا تلم نفسك..
نحن خالدان في كتاب.
سعيدان لأنَّ هناك من يزورنا
لأنَّ هناك من يحدثنا ويتعاطف معنا
ما أجمل أن يتعاطف معك الآخرون
في بستانِ اللغةِ
ونهرِ الكلمات!

١٠ / آب - أوغست / ٢٠١٤

الفهرس

٥	بالهناء
٧	اختبئي .. أخشى عليك
٩	يا لبراريك الغمامات
١٧	أسميكَ كلباً فلا تهن
٢٨	طائرٌ من بلادٍ .. عليل
٣٣	بيتُ النَّص
٣٨	أشجانُ الغرباء
٤٧	مطرٌ يبكي
٥٤	قوارير الطيش
٦٠	لا تحرقني قلبَ الصبي
٦٥	من طوى الغيومَ بكم
٧٠	وحدة
٧١	أيها الضجر .. يا صديقي
٧٦	قد لا ادري
٨٢	صورة نكتف
٨٣	خذوا حزني وبددوه
٩٢	حكاية
٩٤	هواء الفجائع
٩٥	ذات حزنٍ

٩٩	ميكانيكا
١٠٢	غرق
١٠٣	شيئيات بلون البوح
١٠٩	استحواذ
١١٠	خريف
١١٢	وهيبة

THE STRANGERS' SORROWS

اختبئي! أخشى عليك!
فهذا وطنٌ أخطأ المدونون في نحتِ حرفه الأخير ،
استبدلوا الكافَ بقاف.
وطنٌ لا يعرف غيرَ اللوعة والنواح
اشترينا له الشنائمَ كي يُخلِّفها إرثاً للأحفاد.
وزرعنا على أرضِ ذاكرته ضغائننا كي يتهاك ليلَ نهار.
وطنٌ تركناه حافياً يصارعُ لظى الرمالِ وقلنا له:
خُذْ حَقِّكَ مِنَ الْعَذَابِ.
ساديون نحنُ أبناءُكَ ، يا وطني.
مازوشيون ، نعشقُ الآلامَ المراقبةَ على أهدابنا ، ونحتفي.
نأكلُ الأتَيْنَ الدافقَ من قلوبِ أمهاتنا فننتشي.
وطنٌ جعلناه لا يغفو إلا على نايِ الدهورِ الحزينِ
ومدناً لا ترقصُ إلا على أرجوزةِ الدمِ والتوابيت.
ولا تنامُ إلا على:
"دلول يا الولد ، بيني دلول
عراقك حزين ودوم معلول ."



ZAID AL-SHAHEED

